Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بمغامراته، أو المنتظرة لظفره وشهرته. والثاني: التعامل بعفة وطهارة مع باقي نساء الدنيا أيّاً كان شأن الواحدة منهن، وأيّاً كان المستوى الاجتماعي أو الاعتباري لهن جميعاً، وقد خالط أميرات ودوقات، ونساء من عامة الشعب، ونساء أضحين ضحايا للمال والرخص والابتذال.

ولعل المواجهة الأنثوية الأولى التي وقعت لـ دون كيشوت تتجلى في قدومه الأول، في يومه الأول، إلى الخان ليصيب بعض الراحة وبعض الطعام، إذ يرى في مقدمة الخان فتاتين من بنات الهوى، تعرضان مفاتنهما وجمالهما، في وقت إضافي لتصيد الزبائن، (لأنهما جاءتا مع فرقة من البغالة لتكونا باعثتين لمتعهم الخاصة ليلاً، بعدما دفعوا لهما الأجر الذي اتفقوا عليه جميعاً، ولأن الوقت نهاراً فإن الفتاتين كانتا تقفان في مدخل الخان للاستحواذ على بعض الرجال في هذا الوقت الإضافي (وقت غياب البغالة عن الخان)، وقد كان دون كيشوت صيدهما الأول، لكن دون كيشوت المحكوم بنظرته الإنسانية النبيلة يخيّب أملهما حين يناديهما بـ الآنستين الطاهرتين العفيفتين؛ الأمر الذي لا ينقلهما من حال العمل وكسب الرزق باصطياده وإغوائه إلى حال أخرى للتعامل معه، وإنما ينقلهما من حالة الارتباك والتعارف الأولي إلى حالة السخرية والضحك! فالفتاتان انفلتتا بالضحك لأن دون كيشوت نعتهما بالعفة والطهارة، وناداهما بـ الآنستين، وهو يدرك أنهما ليستا كذلك لأن منظرهما يدلل بوضوح على مهنتهما ودوافعها، غير أن هذا الضحك، وتلك السخرية من ذلك الرجل الفارس الغريب الهيئة والنظرة والأقوال سرعان ما ينقلبان إلى أسى عميق وشعور بالمهانة لأن دون كيشوت أعادهما إلى حال البراءة الأولى التي فقدتاها بسبب حمّى المال، والتهافت على الابتذال والرخص. فقد أيقظهما دون كيشوت على واقع جالهما المزرية، وروح التفاهة التي تلفّهما. ومع إدراك دون كيشوت لمهنتهما إلا أنه لا يتعامل معهما إلا باعتبارهما آنستين طاهرتين عفيفتين، والحق أن هذه النظرة هي نظرة دون كيشوت للمرأة التي ستظلّ دائمة طوال وقت الرواية لا يحيّد عنها، وبهذا فهو لا يهتم إلا بالنموذج النبيل للمرأة، وهو يسقطه على جميع النساء اللواتي التقى بهن في تجواله ومغامراته لأنه يخزّن في عقله النموذج الأساسي للمرأة الذي تمثله عشيقته وسيدته (دولسينيا)، ولهذا فهو يقبل بطواعية أن ترسمه الفتاتان الغانيتان كفارس جوّال، وكأن (دولسينيا) هي التي ترسّمه، أي أنه لم يَر ما هو خارجي في سلوك الفتاتين، كما أنه لم يحفل بنوازعهما الداخلية ليحكم عليهما، وهذا مظهر من مظاهر النبل التي سنصادفها كثيراً في الرواية، والتي يسعى دون